من حديث النحو والنحاة

د. عبدالكريم محمد الأسعد

ضوء على البحث:



هذا مقال أشبه ما يكون بتاريخ النحو والنحاة منه بالنحو نفسه، وقد تطرّق بإيجاز إلى مجموعة من الأمور هي:

١ - إيراد الخلاف في وجود لهجة خاصة ممتازة ومتميّزة لقريش.

٢ - ذكر أسباب وجوب الاهتمام باللهجات الأخرى - ولاسيما لهجة تميم - إلى جانب لهجة قريش، في الدرس النحوي.

٣ - القول في الشواهد التي سمعت بلغات أخرى تتناقض مع القواعد النحوية الموضوعة وفاقاً للغة معيّنة معتمدة ومفضّلة هي لغة الحجاز، أتعدّ شاذّة تحفظ

ولا يقاس عليها، أم هي مقبولة ولكن يجب تأويلها، أم هي لغة صحيحة سليمة مطردة يسوغ القياس عليها والاقتداء بها ؟

٤ ـ الكلام عن اللغة والنحو: هل هما توقيفيان قديمان أم حادثان متطوّران؟ وهل نشأ معاً أم متعاقبين؟

٥ ـ التحقيق فيما إذا كان النحو العربيّ قد آعتمد في أوائله على غيره من نحو الأقوام الأخرى، والحديث عن الحركات وتطورها.

٦ ـ سرد تعريفات شتى لعلم النحو من حيث هو، وبيان لصلته الوثيقة بفروع العربية الأخرى ولميدان هذه الفروع جميعاً.

٧ ـ الكشف عن أسبق هذه الفروع إلى الوضع والتدوين مع الإسهاب في تعليل ذلك بالإفاضة في موضوع اللحن في الإعراب على ألسنة العامة والخاصّة وفيما ألّف في هذا الموضوع.

٨ ـ عرض كافٍ لقضية وضع النحو وواضعه ووقت الوضع مع إظهار ما في ذلك كلّه من آضطراب في الأقوال الكثيرة وعماية في الروايات المتعددة، وقد أوردت في سبيل تجلية ذلك كثيراً من النقول وفيضاً من الاعتراضات والإجابات عليها، كذلك أبنت الاضطراب الذي أصاب الروايات المتعلقة بالسبب الذي حمل أبا الأسود في أرجح الأقوال على وضع النحو، وبأول الأبواب التي وضعها فيه، وأظهرت الميل إلى أن تكون هذه الروايات المضطربة سبباً وجيهاً يحمل على غلبة الظن بتعدّد بواعث وضعه أبواب النحو المتعددة لا بتوحّدها.

٩ ـ إيضاح للظروف التي نما النحو فيها وآزدهر في البصرة والكوفة بالذات مع بيان لكيفية نشوئه ثم لمراحل تطوره المتعاقبة ولما فيها من علامات بارزة جديرة بالتسجيل، يضاف إلى ذلك حديث سريع عن الخليل وسيبويه كائنين من أقدم النحاة وأبرزهم على مرّ العصور، وكذلك عن كتاب سيبويه والطابع العام للدرس النحويّ فيه وظاهرة تضمّنه أقوال أستاذه الخليل.

١٠ ـ تسجيل ما آل إليه الدرس النحويّ في مرحلته الأخيرة الممتدّة إلى اليوم من تأثر مفرط بالمنطق مع التمثيل لهذا، وذلك بصرف النظر عمّا تخلّل هذه المرحلة أخيراً من محاولات بعض المعاصرين غير الحاسمة في سبيل نحو ميسّر مبسّط سهل.

١١ ـ رواية شيء من مواقف بعض النحاة القدامى في رفض الاتجاه الفلسفي في الدرس النحويّ، ثم دفاع عن النحو التقليدي ودعوة إلى التوسط بين طرفي النقيض بالأخذ بهذا النحو مع الحرص على تنقية بعض مسائله التي غلبت عليها التعمية والتكلّف والتعقيد والافتعال من هذه الشوائب.

١٢ ـ إيراد مواقف طريفة وأشعار ظريفة لأناس من الخاصة والعامة في كره النحو وهجاء النحاة ثم سرد مأثورات أخرى تضادّها في الاتجاه فتدعو إلى درس النحو وحبّه والاهتمام به، وقصص لطيفة تظهر فائدته ومنزلة النحاة وتكشف عن مدى أعتزازهم بأنفسهم وعن صور من تكريم المجتمع لهم وتحثّ على الاقتداء بهم والاطلاع على آثارهم.

* * *

لابدّ ـ ليكون للكلام على علم النحو ثمرته المفيدة القائمة على أساس واضح متين ـ من التعرّض للّغة لأنها ميدانه الفسيح ومادّته التي بني عليها ودار فيها. فاللغة العربية هي اللغة التي نطق بها أفراد القبائل في شبه الجزيرة. وكانت متنوعة بتنوّع هذه القبائل، وهو ما يعرف باللهجات. وقد سادت لهجة قريش غيرها من اللهجات «لأنّ الله تعالى اختارهم من جميع العرب وآختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلّم. فجعل قريشاً قُطّان حرمه وولاة بيته، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في دارهم، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فآجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب»[1].

ويبدو أنّ هذا القول حمل فريقاً من الباحثين[٢] على أن ينفي وجود لهجة خاصة لقريش، وعلى أن يعدّ ما سمّي بلهجة قريش مزيجاً من لهجات القبائل تكوّن على مرّ الزمن وأنتهى به الأمر إلى أن يكون لهجة الحجاز الذي تسكنه قريش.

وقد رُدّ هذا بأنّ لقريش لهجة خاصة ممتازة وأنّ هذه كانت تهضم ما يفد إليها من اللهجات الأخرى. وسواء أنمحت اللهجة القرشية الأولى وحلّ محلّها هذا الخليط من اللهجات الأخرى أم لم تنمح فإننا ما نزال نجد أنفسنا أمام لهجة متماسكة ومتميّزة عن غيرها من اللهجات الأخرى ويستوي في ذلك أن نسمّيها لهجة قريش أو لهجة الحجاز[٣].

وأيًّا ما كان الأمر فإنّ الاهتمام بلهجة قريش التي كانت لغة القرآن والتي أورثتنا الكثير من الآثار الدينية والأدبية ينبغي أن لا يصرفنا عن الاهتمام باللهجات العربية الأخرى التي تشترك مع لهجة قريش في الخصائص العامة للّغة العربية، فقد قرئت بعض آيات القرآن بغير لهجة قريش على ما رأيناه في قراءة عاصم وحمزة والكسائي من السبعة بكسر حاء «حج» من قوله تعالى: «ولله على الناس حجّ البيت... الآية»[٣] وهي لغة نجد[٤]، وعلى ما نراه في قراءة ورش مثلاً لقوله تعالى: «فمنُ أوتي كتابه بيمينه»[٥]، بضمّ النون[٦]، وقوله تعالى: «قدُ أفلح المؤمنون»[٧]، بفتح الدال، وذلك للنقل[٦]، وفي قراءة الحسن وزيد بن عليّ على لغة تميم لقوله تعالى: الحمدِلله بكسر الدّال للاتباع[٦]، كذلك كان كثير من فحول الشعراء ممّن يحتجّ بشعرهم من غير قريش كالفرزدق القائل:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الراي والجدل

حيث لم يجعل النحاة «ما» في البيت حجازية وما بعدها اسمها وخبرها مراعاة للغة الشاعر صاحب البيت لأنّه تميميّ، وبنو تميم تهمل ما، وإنّما إعمالها لغة أهل الحجاز.[٦] ولولا المزايا الخاصة التي أنفردت بها كل لهجة ما أختلف التميميون وغيرهم مع الحجازيين الذين لا يشكّ أحد في فصاحتهم جميعاً على أختلاف قبائلهم، بل ما كانت لغة تميم أقيس أحياناً من لغة الحجاز، وتشهد صور الخلاف المتعددة بين اللهجات

العربية التي نقلها إلينا النحويون بما كان للهجة تميم خاصــة من قوة ونفــوذ في بعض المسائل ربّما فاقت قوة لهجة قريش ونفوذها. من هنا فإنّ «الناطق عــلى قياس لغــة من لغات العرب مصيب غير مخطيء وإن كان غير ما جاء به خيراً منه[٨]».امّاما وجدناه في بطون الكتب القديمة من شواهد سمعت بلهجات اخـرى غير لهجـة قريش وتنــاقضت لذلك مع القواعد النحويـة الموضـوعة وفـاقاً للّهجـة القرشيـة والتمس النحويـون لها تخريجات شتى كالحمل على الشذوذ او التأويل ليقبلوها بعد ان يجعلوها منسجمة مع ماقعّدوا. فهو في الحقيقة من بقايا اللغة العربية في مراحلهـا الأولى يوم كـانت لا تلتزم تماماً طرق الأداء وعلامات الإعراب المعروفة. يتمثل هذا في القاعدة النحوية القـاضية بـإفراد الفعـل مع الفـاعل المثنى او الجمـع. إذ راينا امثلـة متعددة[٩] تخـالف هــذه القاعدة. وقد سميت لغة (اكلوني البراغيث) وهي لغة قبائل من العرب هم أزد شنــوءه اوطيء او بلحــارث. وهذا يحملنــا على الاعتقــاد بأنّ هــذه اللغــة في التعبيـر اسبق من القاعدة النحوية وانّها صحيحة فصيحة لا داعي لتخريجهـا لتتفق مع قـاعدتهم. وهي كذلك منسجمة إذْ الأليق ان يجمع الفعل مع الجمع ويثنى مع المثنى ويفرد مع المفرد. لذلك رأينا الثعالبي مثلاً يذهب إلى انّ العرب ربّما جمعت الفعل عند تقدمه عـلى الإسم «لأنّه الأصل.»[١٠] فـاللغة ينبغي ان تـدرك بالـذوق والحسّ قبل المنطق والعقـل اللذين آعتمدهما النحاة في هذه المسألة ليقيموا عليهما قولهم بأنّ حالة إفراد الفعل مــع تثنية الفاعل او جمعه هي القياس وانّ ترك ذلك خروج عنه[١١]

ومـردّ ما تمكّن النحــاة من تخريجــه من الشواهــد التي خالفت القــواعد، ومـا استعصى عليهم تخـريجه منهـا فسمّوه لـذلك لحنــاً، هو في الحقيقـة أنّهم لم يعـرفـوا اللهجات الأخرى غير لهجة قـريش معرفـة واسعة او لم يطلعـوا عليها آطّـلاعاً كـافياً او ظنّوا خطأ بـأنّ العرب اصحـاب اللغة يغلطـون او يتكلمون عـلى غير قيـاس لغتهم. ولو لم يكن ذلك كلّه لقبلوا كلّ الشواهـد وصحّحوهـا وأسندوهـا إلى لهجاتهـا المتعددة المقبولة دون حاجة إلى التأويلات البعيدة والتخريجات العجيبة.

وقد جرى الخلاف في اللغة العربية نفسها. اهي توقيفيّة قديمـة لم تعرف اللحن في مفرداتها والخطأ في قواعدها؟ ام هي حادثة متطورة لم توجد منذ أول عهدها كـاملة

ناضجة وإنّما سارت وفقاً لقوانين التطور الطبيعي ومرّت بمراحل الطفولة والشباب ثم النضوج الذي نراه متمثلاً فيما نقراه من آثارها التي بلغت درجة شاملة من التنوع والاتساع والدقة والانضباط والرقيّ والقدرة على التعبير عن ادقّ الأشياء واعمقها مع الالتزام بطرق الأداء الخاصة وبالنظام الدقيق في ملاحظة علامات الإعراب من حركات وحروف.

وكما ذهب ابن فارس[١٢] وغيره إلى انّ اللغة توقيفية قديمة صحيحة الإعراب لم تعرف اللحن ولا الخطأ في مفرداتها وقواعدها، ذهبوا إلى انّ النحو كذلك توقيفيّ قديم نشأ مع اللغة التي لم يعرف اصحابها اللحن والخطأ فيها، والأولى خلاف ذلك في الأمرين معاً، لأنّ اللغة في حياتها تخضع لتطور المجتمع، فكلّما اتّسع اتّسعت وتعدّدت تراكيبها، واساليبها تتشكّل في العادة وفق ما يستلزمه نموّه في جميع نواحي الحياة فيه، وحين تستطيع اللغة مسايرة المجتمع في إحساسه وتصوره وخياله وإدراكه فإنّ ثروتها في التراكيب والأساليب والمفردات تكون قد استكملت إلى حدّ كبير، وتكون بذلك قد اصبحت ارضاً صالحة ممهّدة لاستخراج الملاحظات النحوية منها ثم لاستنباط النحاة قواعدهم واحكامهم النحوية تبعاً لهذه الملاحظات.

إنّ هذا يعني بوضوح انّ النحو لم ينشأ مع اللغة وإنّما كان مرحلة لاحقة من مراحل نموها ومظهراً تالياً من مظاهر رقيّها، وانّه وليد العقل في حين انّ اللغة كانت وليدة الحسّ الذي يسبق وجوده وجود العقل على المعتاد على ما يدلّ عليه عدم وجود النحو إلّا في اللغات الراقية بآثارها الأدبية والعلمية الواسعة.

والنحو على كل حال هو مجموعة القواعد التي تلتزم بها اساليب اللغة في طرق ادائها للمعاني مع السير على نهج هذه القواعد ووضعها موضع التنفيذ عن طريق آلتزام كل حالة من حالات الإعراب المختلفة في كل حالة من حالات الكلمة بالنسبة لموضعها من الجملة كالتزام الرفع في كل فاعل وآلتزام النصب في كل مفعول وآلتزام الجرّ والجزم في اماكنهما.

وقد سمّي هذا العلم في مرحلته الأولى زمن عليّ وابي الأسود (العربية) ولم يقصد بها انذاك القواعد التي تضبط اللغة وتعلّم النطق بها وهو المعنى الإصطلاحي

الذي اخذ يقصد من النحو اخيراً بعد انّ مرّ بما يفيد شموله للمقصود بعلم الصرف الآن ثم سار بعد ذلك خطوات واسعة في طريق النموّ فتخصّص بمعناه الدقيق ووضعت فيه مؤلفات خاصة بأسمه اقتصرت على ابحاثه وحدها.

والمعنى اللغويّ العام للنحو هو الاتجاه والقصد، ثم سمّي هذا العلم بهذا الاسم اخذاً من هذا المعنى بعد ان خصص عمومه بالمعنى الاصطلاحي الخاص للمناسبة بينهما، وتخصيص العام امر شائع كصرف الكتاب إذا اطلق إلى كتاب سيبويه وصرف الصلاة إذا اطلقت وهي في اللغة الدعاء إلى العبادة المعروفة، قال ابن جني عن النحو «هو في الأصل مصدر شائع اي نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً، ثم خصّ به آنتحاء هذا القبيل من العلم»[١٣].

ويبدو انّ لفظ النحو والنسبة إليه كان ممّا جرت به الالسنة قديماً فقد اصطلح على تلقيب يوحنا[١٤] الاسكندراني النصراني الذي عاش زمن الرسول وادرك فتح عمرو بن العاص لمصر بيحيى النحوي. ولكن المشهور انّ علم النحو إنما سمّي[١٥] بهذا الاسم لقول عليّ لابي الاسود لمّا عرض عليه ما آستنبطه وآهتدى إليه من بعض اسسه: ما احسن هذا النحو الذي قد نحوتَ!! انح هذا النّحو. وهو الظاهر لانّ كلمة نحويّ اطلقت قديماً على اللغويّ وساوتها[١٦] في المعنى ممما يحمل على الاعتقاد بانّ تلقيب يوحنا بهذا اللقب لم يقصد به انه يدرس النحو ويضيف إليه بالمعنى الذي يفهم الآن منه.

وقد عاد فريق من الباحثين بالنحو العربي إلى امم اخرى لما لا حَظُوه من نشوئه والاشتغال به في العراق على يد نحاة كان كثير منهم من غير العرب الذين افادوا من لغاتهم الاصلية في وضع قواعد النحو العربيّ وتقسيمه وتبويبه حيث ظهر ناضجاً فجأة في كتاب جامع هو كتاب سيبويه، ولما وجدوه من التشابه بينه وبين النحو السرياني او الكلداني او اليوناني في التبويب وفي تقسيم الكلمة وفي حركات الإعراب على سبيل المثال، يقول جرجي زيدان عن النحو العربيّ «يغلب على ظنّنا انهم نسجوا

في تبويبه على منوال السريان لأنّ السريان دوّنـوا نحوهم وألّفـوا فيه الكتب في اواسط القرن الخامس للميلاد... فالظاهر أنّ العرب لمّا خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو فأعجبهم، فلما أضطروا إلى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لأنّ اللغتين شقيقتان، ويؤيّد ذلك أنّ العـرب بداوا بـوضع النحـو وهم في العراق بـين السريان والكلدان، واقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية»[١٦] ويقول عن الحركات «أول من رسمها ابو الأسود الدؤلي فإنّه وضع نقطاً تمتاز بها الكلمـات او تعرف بها الحركات.... والأرجح أنّه أقتبس ذلـك من الكلدان او السـريان جيـرانه في العـراق.... امّا صـور الحركـات التي وصلت إلينا نعني الضمـة والفتحـة والكسـرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذي وضعت فيه، ولكن الغـالب انّها وضعت في القرون الأولى للاسلام.... اقتداء بالسريان»[١٧] ويقول الرافعي إنّ دلائل الحـركات الخطية لم تكن عند العرب «بل أخترع أصولها السريان حينما تنصّروا وارادوا ضبط قراءاتهم في الأناجيل، فوضعوا علامات صغيرة تدلّ على الحركات.... ولا يزال أثر هذه الطريقة في المصاحف المخطوطة في القرن الثاني للهجرة»[١٨]، ويـوافق احمد أمـين على أنّه حدث تأثير ضئيل من اليونان والسريان في النحو العـربي في العصر الأول لوضعـه وأنّه لم يلبث أن تطور بعد نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية إلى تأثر النحو العربيّ بها في قواعده وعلله[١٩].

ويرى فريق آخر من الباحثين انّ الصلة الوثيقة بين اللغة العربية وبـين غيرهـا من اللغات السامية كالسريانيـة والعبريـة التي تشعّبت جميعاً عن أصـل واحد قـديم لا تعني بالضرورة اعتماد العربية على غيرها، فالعكس ممكن فرضـاً مادامت القضيـة أحتمالاً، كما يرى هذا الفريق انّ النحو العربيّ يدور على نظرية العامل وهي لا توجـد في أيّ نحو اجنبي، وانّ انبعاث النحو في العراق وتصدّر العناصر غير العربية لدراسته لا يعني اكثر من انّ الحاجة الداعيـة إلى إيجاد هـذا العلم إنّما كـانت فساد الألسنـة بأختلاط العرب بالعجم، ومن الطبيعي ان يكون ذلك أكثر ما يكون في الأماكن التي يكثر فيها هؤلاء الأعاجم كالعراق، وأنّ الأعاجم الذين اقبلوا على النحـو العربيّ إنّمـا فعلوا ذلك لحاجتهم إلى تفهّم الدين الجديد الذي اعتنقوه عن طريق دراسة قواعد لغته، وأنّ المشابهة القليلة بين النحو العربيّ ونحو اليونان في تقسيم الكلمة عنـد العرب إلى اسم

وفعل وحرف مثلاً أسوة بتقسيم اليونان الكلمة إلى اسم وفعل ورباط. وفي بعض المصطلحات النحوية العربية أيضاً التي اشبهت مثيلاتها في منطق اليونان مردّها إلى أنّ تأثّر العرب بمنطق اليونان وفلسفتهم إنما كان في تنظيم النحو وتهذيبه وتقسيمه وفي بعض مصطلحاته واساليبه وفي طرق الحجاج والمناقشة فيه، ولم يكن التأثّر في اصول النحو واسسه لأنّ هذه كانت قد وضعت قبل نقل المنطق اليوناني إلى العربية وقبل أن تزدهر حركة الترجمة إليها من غيرها. وانّ ما يقال من انّ تأثّر النحو العربيّ المباشر بنحو الأجانب أدّى إلى الطفرة فيه وإلى أكتماله المفاجيء في كتاب سيبويه ليس دقيقاً لأنّ فكرة النحو العربيّ فكرة قديمة ترجع إلى منتصف القرن الاول للهجرة، وقد اخذت قواعده تنمو وتتطور إلى ان نضجت واكتملت في أواخر النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة وليس من المعقول أن يكون في الأمر طفرة ليس في مقدور العرب ان يفعلوها وحدهم بعد هذا الزمن الطويل من التطور من ابي الأسود المتوفى سنة ٦٩هـ إلى سيبويه المتوفى سنة ١٨٨هـ. والأمر في حقيقته لا يخرج ـ فيما اظنّ ـ عمّا يقال من انّ نحاة البصرة الأوّلين قد عرفوا انّ لبعض اللغات الأجنبية نحواً فحاولوا ان يضعوا للعربية نحواً مماثلاً معتمدين في ذلك على ملكاتهم العقلية التي رقيت بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية وخاصّة فلسفة اليونان[٢٠] ومنطقهم فابدعوا علم النحو أبتداء على ما قاله ليتمان[٢١] الذي اضاف «انّه لا يوجد في كتاب سيبويه إلّا ما أخترعه هو والذين تقدّموه»[٢١]. وعلى ما قاله قايل من انّ الرواية العربية حفظت لنا «في مجموعات مختلفة من كتب التراجم وصفاً لمسلك نمو هذا العلم الذي هو أجدر العلوم ان يعدّ عربياً محضاً»[٢٢] وما راه دي بور من انّ علم النحو اثر رائع من آثار العقل العربيّ يحقّ للعرب ان يفخروا به. وانّ العرب لم يكونوا يحبّون ان تعكّر عليهم النظريات الفلسفية العامة صفاء اللذة التي يجدونها في دقائق لغتهم وانّه كثيراً ما نفّر أساتذة اللغة المتشددون من صيغ لغوية اتى بها مترجمو الكتب الأجنبية[٢٣].

ومثل هذا الذي قيل في تطور قواعد النحو يقال في تطور الحركات التي نشأت رموزها كالنحو بسيطة كنقطة فوق حرف أو بين يديه او تحته، ثم تطورت مثله إلى وضعها الحالي كحركات مأخوذة من الحروف المشابهة لها حين أكتشف الخليل بن احمد الرابطة بينهما.

وقد عُرِّفَ أهل الصناعة من القدامى وغيرهم النحو وحده بتعريفات متعددة بعضها يفضي إلى بعض وحدّوه حدوداً تشمل الصرف معه ويؤدي بعضها أيضاً إلى بعض نختار منها جميعاً ما قاله ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ من أنّه «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها»[٢٤] وما قاله عبد القاهر المتوفى سنة ٤٧١هـ «واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها.... فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلاّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحّة نظم أو فساده أو وصف بمزيّة وفضل فيه إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتّصل بباب من أبوابه»[٢٥] وما نقله السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ عن صاحب المستوفى وهو أنّ «النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألّف بحسب أستعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى»[٢٦] وتعريف الأشموني المتوفى سنة ٩٢٩هـ له بأنّه «العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي أئتلف منها»[٢٧] وتعريف الخضري المتوفى سنة ١٢٨٧هـ له بأنه «يطلق على ما يعمّ الصرف تارة وعلى ما يقابله أخرى ويعرّف على الأول بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال إفرادها كالإعلال والادغام والحذف والإبدال وحال تركيبها كالإعراب والبناء وما يتبعهما من بيان شروط لنحو النواسخ وحذف العائد وكسر إنّ أو فتحها ونحو ذلك وعلى الثاني يخصّ بأحوال التركيب»[٢٨]

وللنحو صلة وثيقة بفروع العربية الأخرى، فهو من هذه الفروع يرتكز وسائرها

على كلام العرب، ويبحث مثلها فيه، ويتعرف بالاشتراك معهـا على جميـع نواحيـه من أسـاليب وتراكيب في مطلق الكـلام، وأوزان وقواف في الشعـر منـه، وبنيـات للكلمـات وضبط للأواخر وغير ذلك. ولقد كان النحو أسبق هذه الفروع وضعاً وتدويناً لأنّ اللحن تسّرب إلى الإعراب قبل غيره لذلك احتاجوا أولاً إلى ما يعصم اللسان عن الخطـأ فيه، ومردّ اللحن إلى أتساع رقعة الدولة الإسلامية وأختلاط العـرب بسواهم وتـلاقي لغتين او اكثر في الالسنة، وهذا ـ كما هو المتصوّر ـ يؤثّر فيها، فتُـدخِلُ كـلُّ لغة الضيم عـلى صاحبتها. وقد خشى المسلمون على القرآن كما خافـوا على اللغـة من هذا اللحن فبـادر علماؤهم إلى وضـع القـواعد التي تضبط اللغة وتعين على فهمها وادائها المعاني وتيسّر في الوقت نفسه لغير أبنائها سبل تعلّمها وإجادتهـا، وقد وصف ابن خلـدون المتوفى سنـة ٨٠٨هـ الأمر كلّه وصفـاً دقيقاً شـاملاً فقـال «لمّا جـاء الإسلام وفـارقوا الحجـاز.... وخـالطـوا العجم تغيّـرت تلـك الملكـة بمـا القى إليهـا السمـع من المخـالفـات التي للمتعربين.... ففسدت بما القي إليها ممّا يغايرها لجنوحها إليه بأعتياد السمع، وخشي اهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة راساً ويطول العهد فينغلق القرآن والحديث عـلى الفهـوم، فأستنبطـوا من مجاري كـلامهم قوانـين لتلك الملكـة مطـردة شبـه الكليـات والقواعد، يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الأشباه منهـا بالأشبـاه مثل أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفـوع، ثم رأوا تغيّر الـدلالة بتغـيّر حركـات هذه الكلمات فأصطلحوا على تسميته إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغيّر عامـلاً وامثال ذلك، وصارت كلّها اصطلاحات خاصـة بهم فقيّدوهـا بالكتـاب وجعلوهـا صناعـة لهم مخصوصة وأصطلحوا على تسميتها بعلم النحو»[٢٩].

ولقد بدأ اللحن في ألسنة العامـةوأشتهر من امثلـة ذلك قـولهم في الباديـة هذه عصاتي[٣٠] بدل عصاي، وقولهم بالعراق حيٍّ على الصلاة بكسر الياء بدل فتحها، وقول اعرابيّ لمؤذن قال أشهد أنّ محمداً رسولَ الله بنصب رسول: ويحـك يفعل مـاذا؟ وقد ألّفت كتب فيما تلحن به العامة ككتب الفراء المتوفى سنـة ٢٠٧هـ وابي عبيدة المتـوفى سنـة ٢١٠هـ والمازني المتـوفى سنـة ٢٤٩هـ وابي حـاتم السجستـاني المتـوفى سنـة ٢٥٠هـ، ثم تسرّب إلى السنة الخاصة فصنّفت لهم بعد ذلك كتب فيما لحنوا فيه ككتاب

ما تلحن فيه الخاصة لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ وكتاب درّة الغوّاص في اوهام الخواص للحريري المتوفى سنة ٥١٦هـ الذي وضع الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩هـ تتمته.

وفي واضع النحو وتاريخ الوضع اضطراب في الأقوال وعماية أتّسعت لتضارب الآراء، فقد زُعِمَ انّ واضعه نصر بن عاصم[٣١]المتوفى سنة ٨٩هـ وانّ اوّل كتاب وضع في النحو كان له على التحقيق[٣٢]، أو عبد الرحمن بن هرمز[٣١]المتوفى سنة ١١٧هـ. قال ابن النديم «قرات بخطّ ابي عبدالله بن مقلة عن ثعلب انّه قال: روى ابن لهيعة عن ابي النضر قال: كان عبدالرحمن بن هرمز اول من وضع العربية»[٣٣]،او ابن ابي إسحاق[٣١] المتوفى سنة ١١٧هـ، وزَعَمَ ابن[٣٤]فارس وغيره انّ النحو قديم في العرب ابلته الأيام وقلّ في ايدي الناس ثم جدّده الإسلام على يد ابي الأسود بإرشاد الامام عليٍّ، وقد غلا ابن فارس في هذا غلواً شديداً إذ نسب للعرب العاربة معرفتهم بمصطلحات النحو بتوقيف مَنْ قبلهم حتى أنتهى الأمر إلى الموقّف الاول وهو الله الذي علّم ادم الاسماء كلّها.

والمختار لا يعدو ان يكون عليًّا المقتول سنة ٤٠هـ لما روي عن ابي الأسود انّه سئل «من اين لك هذا النحو؟ فقال: لقِفْتُ حدوده من عليّ بن ابي طالب»[٣٥]ولقول ابي عبيدة وغيره «اخذ ابو الأسود النحو عن عليّ بن ابي طالب»[٣٦]ولما رواه ابن النديم من انّ محمد بن إسحاق قال «زعم اكثر العلماء انّ النحو اخذ عن ابي الأسود الدؤلي، وانّ ابا الاسود اخذ ذلك عن امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب[٣٧]، ولما ذكره الانباري من انّ الصحيح انّ اول من وضع علم العربية وأسّس قواعده وحدّ حدوده امير المؤمنين عليُّ بن ابي طالب، واخذ عنه ابو الاسود[٣٨]؛ ولقول القفطي «الجمهور من اهل الرواية على انّ اوّل من وضع النحو امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب»[٣٩]ولقوله ايضاً «رايت بمصر في زمن الطلب بأيدي الورّاقين جزءاً فيه ابواب من النحو يُجمعون على انّها مقدّمة عليّ بن ابي طالب التي اخذها عنه ابو الاسود الدؤلي»[٣٩]ولقوله كذلك «واهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح انّ اوّل من وضع النحو عليّ بن ابي طالب

واخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، واخذ عن أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم»[٣٩]
أو ان يكون أبا الأسود الدؤلي نفسه المتوفى سنة ٦٩هـ بأمر عليّ أو زيـاد بن أبيه أو ابنه، لما لوضع النحو من خطورة تقتضي التفرغ التام، وهـو متاح لأبي الأسـود، في حين تقضّت حياة عليّ وغيره في الكفاح وسياسة الناس، روي أنّ رجلاً بمدينة الحديثـة اسمه محمد بن الحسين كان جمّاعة للكتب وقد آلت إليه خزانة صديق له كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة، قال ابن النديم «فرايتها وقلبتها فرايت عجباً إلّا أنّ الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملاً أدرسها.... ورأيت ما يـدلّ على أنّ النحـو عن أبي الأسود مـا هذه حكايته، وهي (أربعة) أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها: هذه فيها كـلام في الفـاعـل والمفعـول من أبي الأسـود رحمـة الله عليـه بخطّ يحيى بن يعمـر»[٤٠]وقـال محمد بن سلام الجمحي «كان أوّل من اسّس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي»[٤١]وقال ابن قتيبة إنّ أبا الأسود «يعدّ في... النحويين لأنّـه أوّل من عمل في النحو كتاباً»[٤٢]، وذهب معاصر إلى أنّ أبا الأسود استعرض طـائفة من كلام العرب وتوصّل إلى استنباط بعض القواعـد بإرشـاد الإمام عـليّ واسماهـا النّحو ودوّنها في صحيفة له عرفت عنـد النحاة بـالتعليقة وهي أول كتـاب دوّن في علم اللسان العربي[٤٣].

على انّ أبا الأسود لم يسلم ممّن يشكّك في أولية وضعه النحو بحجة أنّ عصـره لم يكن يتواءم مع ما نسب إليه من الاصطلاحات[٤٤]الوضعية المرتبة،فعل هذا الاستاذ أحمد أمين حين ذهب إلى انّ الرواة يكـادون يتفقون عـلى انّ أبا الأسـود ابتكر شكـل المصحف، وإلى أنّ هذا يعدّ خطوة أولية في سبيل النحو تتمشّى مع قانون النشوء، وأنّـه من الممكن ان تـأتي من أبي الأسـود، وأنّ هـذا «يلفت النظـر إلى النحـو، فعمـل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب ووضع القواعد له.... وانّ هذه الأمـور لمّا تـوسّع العلماء فيها بعـدُ وسمّوا كـلامهم نحواً سحبـوا اسم النحو عـلى ما كـان قبلُ من أبي الأسود وقالوا: إنّه واضع النحو للشبه في الأساس بين ما صنع وما صنعـوا، وربّما لم يكن هو يعرف اسم النحو بتاتاً... إنّما الذي له الفضل الأكبر في ذلك الخليل بن أحمـد ذو العقل الجبار المبتكر الذي قلّ ان يوجد له نظـير في علماء ذلـك العصر، والذي عكف على العلم يخترع فيه ويستنبط أصولـه من فروعـه على طـريقة لم يسبق إليهـا... وهو

الذي عمل النحو الذي نعرفه إلى اليوم».[45]

وفعل هذا أيضاً الأستاذ إبراهيم مصطفى الذي عدَّ تقبّل فكرة وضع أبي الأسود للنحو أمراً لا يستساغ وقال «إنّه لا يعقل أن يكون هذا الزمن المبكّر قد تمكّن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في كتب العربية، وقد أنكر ذلك[46] المستشرقون وعدّوه حديث خرافة، ولقد ساقنا هذا الإشكال إلى أن ننتهج سبيلاً أخرى في البحث فتتبّعنا كتب النحو الباقية بأيدينا لنعلم أقدم عالم نسب إليه رأي نحويّ في هذه الكتب، وكان أول هذه الكتب كتاب سيبويه، ويلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد في كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً نحوياً نسب إلى أبي الأسود ولا إلى طبقتين بعده، فنحن أمام حقيقة واضحة أخذت من كتب النحو وهي أنّ أقدم من نسب إليه رأي نحويّ هو عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي[47]، أمّا عمل أبي الأسود فقد كان نقط المصحف كما أشارت إليه الروايات لضبطه على سبيل العرب وسمتها في القول، وذلك ما كان يقصده الرواة من كلمة النحو، وهو عمل طبيعيّ في صدر الدولة الإسلامية، أمّا هذه القواعد النحوية التي كتب لها هذا العمر الطويل فإنّ أول من نهج سبيلها عبدالله بن أبي اسحاق، وقد دخل عامل آخر في الأمر وهو هوى بعض المؤلفين إذ كانوا يحبّون أن ينسب كل شيء إلى عليّ وشيعته، فخفيت الحقيقة حتى أن يجلّيها البحث في كتب النحو ذاتها لا في أخبار الطبقات[48].

في حين ناقش الشيخ محمد الطنطاوي هذه الشكوك فقال «نحن لا ندّعي أنّ أبا الأسود قد وفّق إلى النحو على غرار ما نراه في كتبنا من تعريفات ومصطلحات وتقاسيم فإنّ طبيعة عهده السابق على عصر المقننين تقتضي مجرد اتجاهه إلى أبواب هذا العلم إجمالاً حسبما تقتضيه الفطرة العربية... وذلك كافٍ في اعتباره المؤسس له... إلّا أنّه مما لا يختلف فيه اثنان أنّ النهضة بهذا العلم... كان عمادها الخليل بن أحمد... ومع هذا فإنّ عناصره الأساسية التي اهتدى إليها أبو الأسود بتعليم وإقرار الإمام عليٍّ لم تتغيّر ولم تتبدّل... على أنّنا لو تمثّلنا شخصية أبي الأسود ونزعته وعصره... لأيقنّا صحة هذه النسبة، فقد كان علويّ الرأي يجاهر بتشيّعه... وقد توالت خلافة الأمويين زمناً ليس بالقصير وهم منطوون على نار من الحقد للعلويين وأتباعهم... فكيف يَـدَّعُون

امراً خطيراً كهذا يمضي على كرّ الزمـان ويخلد في بطـون الاسفار، وهم احـرص الناس على الغضّ من شأن العلويين وشيعتهم ولاسيمـا في مثل هـذا الشأن ذي البـال والأثر الخالد»[٤٩].

وناقشها ايضـاً مناقشـة مستفيضة بـاحث معاصر اخـر فذهب إلى انّ مـا دفع الاستاذ إبراهيم مصطفى إلى ما قاله هو عـلى ما يبـدو إنكار المستشـرقين الـذي عدّه حقيقة لا تقبل الجدل على الرغم من انّ الرواة يكادون يجمعون عـلى انّ واضع النحـو هو ابو الأسود بأمر عليٍّ، وليس لهم مصلحة تجعلهم يؤثرون عـالماً عـلى غيره ولا اليـاً على آخر، وهم ليسـوا متعصبين لأبي الاسـود وعليٌّ ليدفعهم تعصّبهم إلى بغض زياد وابن ابي اسحاق، ونحن إن علمنا انّ في تاريخ زياد ما يدعو إلى بغضه فلسنا نعلم من تاريخ ابن ابي اسحاق ما يدعو إلى كراهيته، بل إنّ الرواة ينسبون إليه انّه كان الغاية في النحو شديد التجريد للقياس فيـه، وانه اوّل من علّلـه[٥٠]، وحتى زياد نفسـه فإنّهم ايضاً ينسبون له او لموافقته فضل فكرة ضبط المصحف لحفظه سليماً، لانه كما يقولون الذي جمع الرجال الذين اختار منهم ابو الأسود من اعانه على إنجاز عمله.

وقد اضاف هذا الباحث انّ احداً لم يقل إنّ ابا الأسود وضـع النحو كاملاً، فهـو قد وضع فكرة ابواب استدعتها الظروف بدون دقـة او تفريـع ممّا نـراه اليوم في كتب النحو، ولا ينبغي على كل حال ان يستغرب منه التفكير في وضع قواعد عامة تساعد على ضبط اللغة بعد ان عمـل على ضبط المصحف، وإذا كـانت صلة ابي الأسـود بعليٍّ مـا نعرف، وإذا كان زياد في حياة عليٍّ من انصاره وقوّاده، فإنّه لن يكون عسيـراً علينا ان نفهم الصلـة التي تربط عليًّا بهذا المـوضـوع، امـا المنهج الـذي سار عليـه الأستـاذ إبراهيم ليعلم اقدم عالم نسب إليه راي نحويّ في الكتب الموجودة بين ايدينا ففيـه كثير من القصور لأنّه جعل الكتابة والتقييد معياراً له مع اننا نعلم انّ الكتابة جاءت متاخرة عند العرب، وانّ العلماء ظلّوا فترة طويلة يعتمدون على الرواة والحفاظ، وانّ العنايـة في التـدوين لم توجـه في اول الأمر إلّا للمصحف، فليس بغـريب إذن ان يتأخـر تسجيـل النحـو، وليس بغريب كـذلك الّا ينسب إلى ابي الأسـود شيء في كتاب سيبـويه، فعـدم نسبة شيء إلى ابي الأسود إذن لا يدلّ على انّه لم يكن له راي في النحو، وامّا ذهابه إلى انّ مراد الرواة بالنحو الذي نسبوا وضعه لأبي الأسود هـو نقط المصحف فحسب وانّ

الامر أختلط عليهم فظنّوا انّـه بذلـك وضع النحـو فهو ممّـا لا يستقيم. إذ لا يعقل ان يختلط الأمر على الرواة وهم ينصّون على نقط ابي الأسود للمصحف مـرّة وعلى وضعـه مسائل من النحو مرّة اخرى، وليس هناك في الوقت نفسه ما يدعـونا إلى ان نسيء الظنّ بالرواة وهم اكثر منّا بحثاً في لغة العرب واقرب منّا زمناً لنشأة العلم، ثم ماذا نقول فيما ينسبه ابن عبد ربّه إلى ابي الأسود من انّه قال: من العرب من يقول لـولاي لكان كـذا وكذا، اليس هذا بحثاً في صميم النحو؟ ثم اليس ردّه على بني قشير حين قالـوا بعد ان سمعوا ابياته:

يقـول الارذلـون بنـو قشـير	طـوال الـدهـر لاتنسى عليـا
فقلت لـهم وكيف يكـون تـركـي	مـن الاعمـال مـا يجـدي عليـا
احبّ محمـداً حبّـا شـديـداً	وعبّـاسـاً وحمـزة والـوصيـا
فـإن يـك حبّـهـم رشـداً اصبـه	ولسـت بمخطـيء إن كـان غيّـا

شككت يا ابا الأسود في قولـك: فإن يـك حبّهم. فقال امـا سمعتم قول الله تعـالى: وإنّا وإيّاكم لعلى هدى او في ضلال مبين؟[51] اليس ردّه هذا استدلالاً في مسألة نحوية؟ وإذا كـان ذلك لم يـذكر في كتب النحـو فـإنّ ذكـره في كتب الأدب لم يـخـرجـه عن طبيعتـه النحوية، كما لا يستطيع احـد أن يدعي أنّ عـالماً ينقط المصحف كلمـة كلمة ويـلاحظ حركات حروفه حرفاً حرفاً ثم يخرج من عمله هذا دون ان تتكوّن لـديه فكـرة اولية عن شنون النحو[52].

وايًا ما كان الامر في هذا الموضـوع فإنّـه من العسير جـداً تجليته تجليـة تامـة وبيان حقيقته على وجه القطـع وذلك لكثـرة ما فيـه من الأقوال المتضـاربة والـروايات المتعددة والمواقف المتعارضة. فقد راينا من يقول إنّ نسبة وضع النحو إلى الإمـام عليّ دفعت إليها روح التشيّع عند اصحابها كما هو الحال عند القائلين بذلـك من القدمـاء، وأنّها شاعت في البيئات الشيعية كما كان في مصر ايام القفطي، ويرى أنّ انشغـال عليّ بمسئولياته الدينية والسياسية يحول في الحقيقة دون ذلك، بالإضافة إلى أنّ ابن سلام وهو اقدم من اثرت عنهم الرواية في هذا المـوضوع لم يشر إلى مجهـود عليّ في تـأسيس النحو

وهناك من يذهب إلى أنّ شبه الاجماع في جانب أبي الأسود وحده، وانّ احداً من الرواة حتى من بين من نسب وضع النحو إلى غير أبي الأسود لم يتعرض لنفي نسبة الوضع إليه، وأنّ ما رواه ابن النديم من أنّ عبدالرحمن بن هرمز أول من وضع العربية لا ينهض لأنّه رواية من مصدر واحد لا يوجد ما يدعمها من المنقول أو المعقول فضلاً عن أنّ ابن النديم نفسه ساقها في حديث واحد إلى جانب روايات أخرى تنسب وضع النحو لغيره فلا يعوّل عليها إذن إزاء شبه الإجماع في جانب الدؤلي. هذا بالإضافة إلى مصحف مخطوط[٥٣]عثر عليه في مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط، وهو أثر مادي قديم جمع الشكل الذي وضعه أبو الأسود بمداد أحمر، ونقط الإعجام التي عرفت عن نصر بن عاصم بمداد اسود[٥٤].

وهناك من ينادي بإخراج وضع نصر بن عاصم نقط الإعجام من دائرة النحو لأنّه ليس منه، ويعتقد في الوقت نفسه أنّ تأليفه كتاباً في النحو كما قيل لا يعني أنّه أول كتاب فيه لأنّ أبا الأسود قبله ترك صحيفة في النحو لم يكتب[٥٥]غيرها، ولأنّ المدة التي عاشها نصر بعد وفاة أبي الأسود وهي عشرون سنة تسمح له بتأليف كتاب في النحو بعده، وهذا على كل حال لا يقوى على الطعن في نسبة أولية الوضع في النحو لأبي الأسود.

ومن الواضح أنّ حصيلة هذه الأقوال والمناقشات تؤول بقارئها إلى أن يشعر بأنه لا سبيل إلى تحقيق تاريخ وضع النحو البتّة، وإلى أنّ معرفة واضعه تكاد تكون معضلة، كما أنّها تفضي في الوقت نفسه إلى حقيقة تبدو وحدها مؤكدة وهي أنّ وضع النحو إنما كان في الفترة المحصورة بين عليّ المقتول سنة ٤٠هـ وعبدالرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١١٧هـ وهي لا تتجاوز كثيراً سبعين سنة.

وقد أصاب الاضطراب أيضاً الروايات في السبب الذي حمل أبا الأسود على وضع النحو كما هو راجح على ما نطق به جمهور الرواة، فقد روي أنّه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى «أنّ الله بريء من المشركين ورسوله»[٥٦]بكسر اللام في رسوله فقال: ما ظننت أمر الناس يصل إلى هذا ووفد على زياد بن أبيه والي البصرة ـ أو على ابنه عبيد الله

واليهـا من بعده ـ وقـال له: إنّي أرى العـرب قد خـالطت الأعـاجم وتغيّـرت ألسنتهم افتاذن لي أن أضع للعرب ما يقيمون به كـلامهم؟ وقيل إنّ رجـلاً لحن أمام زيـاد ـ أو آبنه عبيدالله ـ فطلب من أبي الأسود أن يرسم للناس العربية، وقيل إنّـه رسمها حـين سمع آبنته تقول ما احسنُ السماء وهي لا تريد الاستفهام وإنّمـا تريـد التعجب فقال لها قولي ما أحسنَ السماء، وروي أنّه شكا فساد لسانها لعليّ فـوضـع لـه بعض أبواب النحو وقال له: انح هذا النحو. إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المشهورة والمبثـوثة في ثنايا كتب التراجم وأمهات مصنفات الأدب.

ولا ينبغي لنا الشك في جيمع أسباب وضـع أبي الأسود النحـو لتعدد روايـاتها وتنـاقضها وأضطـرابها، والأقـرب أن تؤدّي بالنفس إلى الإطمئنـان والثقة بـأن سبب وضـع النحو لابّـد أن يعود إلى أسبـاب متعددة لا إلى سبب واحـد إذْ الأليق أن يكون الباعث على الوضع التعدد في الخطأ والتنوع فيه وليس الخطأ الواحـد الذي يمكن أن لا يكون حافزاً كافياً للقيام بمثل هذه المهمة الجليلة.

وكما أضطربت الروايات في السبب الذي حمل أبا الأسود على وضع النحو فإنّها أختلفت كذلك في أولّ ما وُضِعَ من أبوابه بصرف النظر عن الواضع. فقـد روي أنّ أبا الأسـود «وضع بـاب الفاعـل والمفعول بـه والمضاف وحـروف الرفـع والنصب والجـرّ والجـزم».[٥٧] وروي أنّ أول من أصّل النحـو وأعمل فكره فيـه «أبـو الأسـود الـدؤلي ونصر بن عاصم وعبدالـرحمن بن هرمـز فوضعـوا للنحو أبـواباً وأصّلـوا له أصـولاً، فـذكروا عـوامل الـرفع والنصب والخفض والجـزم ووضعوا بـاب الفـاعـل والمفعـول والتعجب والمضاف».[٥٨] وروي أنّ «سبب وضع عليّ لهذا العلم ما روى أبو الأسـود قال دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فوجدت في يده رقعـة فقلت ما هـذا يا أمـير المؤمنين؟ فقال إنّي تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هـذه الحمراء ـ يعني الأعاجم ـ فأردتُ أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم القى إليّ الرقعـة وفيها مكتوب، الكلام كلّه آسم وفعل وحرف، فـالاسم ما أنبـأ عن المسمّى، والفعل مـا أُنبيء به، والحرف ما جاء لمعنى، وقـال لي أنح هـذا النحو وأضف إليـه ما وقـع إليك، وآعلم يا أبا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر وآسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنّمـا

تتفاضل الناس يا ابا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم، قال ابو الاسود: فكان أول ما وقع لي إنّ وأخواتها ما خلا لكن، فلمّا عرضتها على علىّ قال لي: واين لكن؟ فقلت: ما حسبتها منها، فقال هي منها فألحقها، ثم قال ما احسن هذا النحو الذي نحوت، فلذلك سمّي النحو نحواً»[٥٩].

وقد نشأ النحو ونما وآزْدَهَر في البصرة والكوفة حيث آستوطنهما العرب والعجم معاً وظهر اللحن فيهما بينهم ظهوراً لا مثيل له في سائر البلاد، قال ابو الطيب «ولا علم للعرب إلّا في هاتين المدينتين، فامّا مدينة الرّسول فلا نعلم بها إماماً في العربية، قال الاصمعي: اقمت بالمدينة زماناً ما رايت بها قصيدة واحدة صحيحة إلّا مصحفة او مصنوعة، وكان بها ابن داب يضع الشعر واحاديث السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب فسقط وذهب علمه وخفيت روايته.... وممّن كان بالمدينة ايضاً عليّ الملقب بالجمل وكان وضع في النحو كتاباً لم يكن شيئاً، وامّا مكة فكان بها رجل من الموالي يقال له ابن قسطنطين يشدو شيئاً من النحو، فأخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرنا إبراهيم بن حميد قال: اخبرنا ابو حاتم قال: وضع ابن قسطنطين بمكة شيئاً من النحو، ثم قدم البصرة فسمع النحو فطرح جميع ما كان عمل ووضع شيئاً آخر لا يساوي شيئاً ايضاً، وامّا بغداد فمدينة ملك وليس بمدينة علم، وما فيها من العلم فمنقول إليها ومجلوب للخلفاء واتباعهم ورعيتهم»[٦٠].

ولقد مرّ علم النحو بمراحل تطور متعاقبة كانت في البداية سريعة وذلك بسبب ارتباطه بضبط القرآن والحديث حتى يظلّا بمنجاة من اللحن والتحريف ممّا جعله في حقيقة الأمر ثمرة من ثمرات الدراسة القرانية، وهذه المراحل هي: إعراب القرآن بوضع رموز لحركات اواخر كلماته وهو العمل الذي قام به ابو الأسود، ثم إعجامه لتمييز حروف الهجاء المتشابهة في الصورة بعضها عن بعض وهو ما قام به نصر بن عاصم، ثم استبدال ما فعله أبو الأسود بوضع الخليل بن احمد الحركات التي نعرفها للإعراب مع بقاء نقط الإعجام على ما كانت عليه، وبعد هذا بدأ النحو يبحث في تاليف الكلام وعلله، ثم آتجه اخيراً عبر ازمان ممتدة طويلة إلى ما نراه من اشكال الدرس فيه على نحو ما هو مشاهد في امهات كتب النحو عند المتأخرين.

ولقد ظهرت في مراحل التطور المتعاقبة علامات جديرة بالتسجيل، من ذلك: ضرب المثل وسوق الدليل لبيان صحة ما ذهب إليه أهله كما حدث في قصة أبي الأسود[٦١] مع بني قشير، ومنه: إجابة العلماء على ما أصبح يوجّه إليهم من الأسئلة عن ضبط معيّن أو استعمال خاص كالذي روي من قول أبي الأسود «من العرب من يقول لولاي لكان كذا وكذا»[٦٢] فالمظنون أن يكون هذا ردًّا أو كالردّ على سؤال وجّه أو يمكن أن يوجّه إليه عن جواز استعمال الضمير بعد لولا، وكسؤال الحجاج ليحي بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩هـ «أتجدني ألحن؟ قال: الأمير أفصح من ذاك، قال: عزمتُ عليك لتخبرني،وكانوا يعظمون عزائم الأمراء، فقال يحي بن يعمر: نعم في كتاب الله، قال: ذاك أشنع له،ففي أيّ شيء من كتاب الله؟ قال: قرأت: قلْ إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله[٦٣]! فترفع أحبّ وهو منصوب، قال إذاً لا تسمعني ألحن بعدها، فنفاه إلى خراسان»[٦٤]!

ومن هذه العلامات بدء التعليل والقياس على يد عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧هـ الذي قال عنه يونس «هو والبحر سواء»[٦٥] أي هو الغاية، والذي تعقب الفرزدق وهو من هو في الفصاحة وخطّأه في قوله:

وعضُّ زمانٍ يا بنَ مروان لم يدع ... من المال إلاّ مسحتاً أو مجلّف

إذ قال له: على أيّ شيء ترفع أو مجلف؟ فأجابه: على ما يسوءك وينوءك[٦٦] فقد كان الحضرميّ يعلّل لما يراه بأنه معطوف على منصوب فينصب. والذي تعقبه أيضاً في مدحه يزيد بن عبدالملك بقوله:

مستقبلين شمال الشام تضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنا يُلْقى وأرحُلنا ... على زواحف تُزْجى مخُّها رِير

إذ قال له: أسأت إنما هو: مُخُّها ريرٌ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع[٦٦]!

ولمّا رأى الفرزدق هذا التتبع من الحضرمي ثارت نفسه عليه فقال يهجوه:

فلو كان عبدالله مولىً هجوته ... ولكن عبدالله مولى مَواليا

ولم يترك ابن أبي اسحاق هذا ايضاً بدون نقد فقال له: لقد لحنت فيه وكان ينبغي أن تقول: مولى مَوَالٍ[٦٦].

ويعدّ من هذه العلامات ايضاً بروز ظاهرة التفسير والشرح والتعليل مما اخرج النحو عن دائرة الرواية وحدها إذ لم يعد النحاة كعيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩هـ وأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ يكتفون بنقل ما يسمعون ولكنهم اخذوا يحاولون إلى جانب التماس العلل والاسباب لوجهات نظرهم في مسائل النحو التي لم تعد متفقاً عليها فتح باب الحجاج والجدل والتخريج والتأويل ونحو ذلك مما يعني أن الدرس النحوي قد خطا على ايديهم خطوة متقدمة إلى الامام.

ومن اهم العلامات ظهور علم النحو على يد الخليل بن احمد المتوفى سنة ١٧٥هـ وسيبويه المتوفى سنة ١٨٨هـ تاماً مكتملاً ناضجاً وضعت قواعده وفرعت مسائله وبسطت قضاياه ومدّت أطنابه وفتقت معانيه والتمست له العلل وافترضت فيه الفروض، وأوضح فيه الحجاج حتى بلغ اقصى حدوده واقيم فيه الحوار على اسس دقيقة متماسكة يفضي بعضها إلى بعض على نحو ما كان منهما في كتاب سيبويه بينه وبين أستاذه الخليل مّما يحيط بالنحو ويقف بالنظرة الشاملة على كل صغيرة وكبيرة فيه مع الموازنة والاستنباط.

ويعدّ الخليل وسيبويه ابرز أعلام النحو في جميع المراحل فهما اللذان ملآه بالأصول والفروع والأدلة والاقيسة،وسيبويه هو الذي اخرج كتابه الجامع لقواعد النحو المحيط بمسائله فقد كان الخليل كما يقول احمد امين ارقى من أن يعكف على الكتب يدوّنها فهو يخترع العلم ويتركه لتلاميذه يدوّنونه ولم يكن يرضى ان يؤلّف في النحو حرفاً أو يرسم منه رسماً واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده وألّف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدّم قبله كما أمتنع على من تأخّر بعده[٦٧]! لذلك اكثر سيبويه في كتابه من النقل عن أستاذه الخليل، ونقل كذلك عن غيره، بالإضافة إلى رواية ما سمعه والموازنة بين ما يروي وينقل وغير ذلك من الأمور التي تجعل النحو في كتابه

مشارفاً على التمام ممّا مهّد الطريق للتالين لكي يضعوا مسائل النحو في وضعها النهائي الذي نشاهده الآن، ولكي يسمّوا مصطلحاته التسمية الاصطلاحية ويحدّدوها التحديد الواضح الدقيق اللذين نعرفهما في الوقت الحاضر.

وعندي أنّ سيبويه يعدّ أول من فتح باب التفلسف في الدرس النحويّ ليلجه بعد ذلك من وليه من النحاة المناطقة في العصور المتعاقبة وليمعنوا في منطقة النحو وفلسفته بما أخرج أكثر مسائله في النهاية عن دائرة الحسّ اللغوّي والرواية الصافية ليدخلها في دائرة المعقول وذلك عن طريق أفتراضه الأساليب وإتيانه أحياناً بالمعقد منها وعقده الأبواب التي تتضمّن ما جاء به النحويون منها قياساً ممّا لم تتكلم به العرب حتى تكمل لهم الأوجه التي تصوروها[٦٨].

أما المرحلة الأخيرة الطويلة الممتدة فهي مستمرّة إلى عصرنا الحاضر الذي شهد محاولات لا يمكن وصفها بالحاسمة على يد بعض المعاصرين في سبيل نحو ميسّر مبسّط سهل إلى نحو ذلك من النعوت، وأهمّ مظاهر هذه المرحلة تأثّر النحو بالمنطق في البدء تأثّراً لم يلبث أن تصاعد جيلاً بعد جيل، تتضح أوائل ذلك عند المبرّد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وذلك على نحو يزيد في الغالب على ما كان منه في نحو سيبويه، فقد شهد المبرّد أتساع نطاق الترجمة للمنطق والفلسفة وسائر العلوم والمعارف، وتأثّر لذلك في نحوه بالمنهج الفلسفي وبطرائق المتكلمين ومصطلحاتهم وأساليبهم، يظهر هذا جليًّا في مثل قوله «فأمّا طلحة فلو قلت في جمعها طلحتون للزمك أن تكون أنثته وذكّرته في حال وهذا هو المحال»[٦٩] وقوله عن الأفعال «كان حدّها الّا يعرب شيء منها لأنّ الإعراب لا يكون إلّا بعامل، فإذا جعلت لها عوامل تعمل فيها لزمك أن تجعل لعواملها عوامل، وكذلك لعوامل عواملها إلى ما لا نهاية»[٧٠] وقد أفترض المبرد كسيبويه الصيغ وربّما تعسف فيها وأبتعد بها عن اللسان العربيّ على نحو ما فعل من بنائه مثل جعفر من قلت وبعت ومثل تفْعل من القول والبيع ومثل تُفْعُل منهما[٧١] كما افترض مثله الأساليب وربّما بالغ فيها وأغرب وجنح إلى التعقيد اللفظي والتعليل المنطقي كما فعل في باب مسائل ايّ في[٧٢] الاستفهام، وكقوله عن الموصول «فإن قلت: الذي التي اللذان الذين التي في الدار جاريتُهم منطلقون إليهما صاحباها أخته زيد، كان جيداً بالغاً»[٧٣].

ومـع انّ التأثر بالمنطق والفلسفـة والالتزام بهمـا في الدرس النحـويّ كان أهم مظاهر هذه المرحلة منذ بدايتها فإنّ رفض بعض النحاة منذ البداية لهذا الاتجـاه يعدّ أيضاً من اهمّ معالمها، فقد رأينا الجرمي مثلاً المتوفى سنة ٢٢٥هـ يأبى التعقيد ويكره كثرة التقديرات بل يرى أنّ ما لا يحتاج إلى تقديـر خير ممّـا يحتاج إليـه، وكان يـرى أيضاً أن يقتصر في النحو على السماع والقياس على المسموع دون الإتيان بفـروض غير مستعملة وصور ذهنية نظرية لم يرد لها مثيل عن العرب على نحو ما جاء به المبرد ومن بعده لأنّ في ذلك تكلفاً شديداً.

وهذه الفروض والصور إن دلّت على قدم راسخة في العلم وعلى تمرّس أصحـابها الطويل به فإنّها في الحقيقة تبعث الآن على ضيق لا يقلّ عن ضيق بعض المتقدّمين بهـا كالجرمي وكابن مضاء المتوفى سنة ٥٩٢هـ الذي حمل في كتابه «الردّ على النحـاة» على كل ذلك حملة شعواء وكغيرهما.

عـلى أنّ كثرة نـاقدي النحـو ولاسيّما في الـزمان الأخيـر لما شـابه من التمنطق والتفلسف ثم غلب عليه منهما في شتّى نـواحي درسه لا يعني بـالضرورة الـدعوة إلى نبذه وإهماله واطراحه، ذلك لا ينبغي أن يخطر على بال منصف، فللنحو فائدته وفضله وللنحـاة منازلهم واقـدارهم، ويكفي النحو أننـا نبحث فيه عن اللغـة التي تكلمت بهـا العرب ونزل بها القرآن. كلّ ما ينبغي أن نتطلع إليه ونعمل في سبيله بهدوء ورويّة ودون تحامل هو أن يكون النحو خالياً من التعمية والتكلف والتعقيد والافتعال ونحـو ذلك من السلبيات المرفوضة في صيغه وأساليبـه وأفكاره وأمثلتـه. امّا مـا كان من كـره بعض الناس ـ علماء وغير علماء في الأزمنة المختلفة ـ للنحو ورفضهم له بحجة ما راوه فيـه، وذلـك كالـذي روي من أنّ أعرابيًـا وقف على حلقـة أبي زيد الانصـاري المتوفى سنـة ٢١٥هـ فظنّه قد جاء يسأل عن مسألة في النحو فقال له: سل يا أعرابيّ، فقـال له عـلى البديهة:

لســت	للنحــو	جئتكــم	لا ولا فيــه ارغــب
انــا	مــالي	ولامــرىء	ابـد الـدهــر يُضْــرَب
خــلّ	زيــداً	لشــانــه	اينمــا شــاء يـذهــب

وأستمع قول عاشق قد شجاه التَّطرُّب
همُّهُ الدهرَ طَفْلَةٌ[٧٤] فهو فيها يُشبّب[٧٥]

وما روي من إنشاد عمّار[٧٦] الكلبيّ في هجاء النحويين وقد عيب عليه بيت من شعره فأمتعض لذلك:

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بِكْراً يكون بها بيت خلاف الذي قاسوه او ذَرعوا
قالوا لحنت وهذا ليس منتصباً وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا[٧٧] بين عبدالله من حُمُقٍ وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ما كلّ قولي مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فَدَعوا
لأنّ ارضيَ ارض لا تُشَبُّ بها نارُ المجوس[٧٨] ولا تُبْنَى[٧٩] بها البِيَعُ[٨٠]

اقول إنّ هذا وأمثاله ينطوي على مبالغات ينبغي أن تردّها او تحدّ من اثرها مأثورات كثيرة تضادّها في الاتجاه وتتفوّق عليها في القوة، وقصص متعددة تظهر منزلة النحاة وتصّرح باعتزازهم بأنفسهم وتبين صوراً من تكريمهم. فقد كان عبدالملك بن مروان يقول «تعلّموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض»[٨١]. وممّا أمتدح به النحو قول الشاعر:

النحو يَبْسُط من لسان الألْكَنِ والمرء تكرمُهُ إذا لم يَلْحَنِ
فإذا طَلَبْتَ من العلوم اجلّها فاجَلُّها منها مقيمُ الألسنِ[٨٢]

وقول ابن شبرمة قاضي الكوفة «إنّ الرجل ليلحن وعليه الخزّ الادكن فكأنّ عليه اخلاقاً، ويعرب وعليه اخلاق فكأنّ عليه الخزّ الادكن»[٨٣]، وروي أنّ الرشيد أشرف «على الكسائي وهو لا يراه فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها، فأبتدرها الامين والمأمون وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه فقبل رءوسهما وايديهما ثم اقسم عليهما الّا يعاودا، فلمّا جلس الرشيد مجلسه قال: ايُّ الناس اكرم خدماً؟ قالوا: امير المؤمنين اعزّه الله. قال: بل الكسائي يخدمه الامين والمأمون، وحدّثهم الحديث»[٨٤] وروي أنّ

سليمان بن عليّ والي الأهواز أرسل إلى الخليل يلتمس منه الشخوص إليه لتأديب أولاده ويرغبه، ولكنه كان زاهداً عفيف النفس لا يختار صحبة الملوك والأمراء فلم يستجب له وأخرج إلى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال له: ما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي في سليمان، فقال الرسول: فماذا أبلغه عنك؟ فأنشأ يقول:

أبلـغ سليمـان أنـي عنـه في سعـة وفي غنـى غـير أني لست ذا مـال[٨٥]

وأراد الواثق أن يستبقي المازنيّ عنده فقال له المازني «يا أمير المؤمنين إنّ الغنم لفي قربك والنظر إليك، والأمن والفوز لديك، ولكنّي ألفت الوحدة وأنست بالانفراد ولي أهل يوحشني البعد عنهم ويضرّ بهم ذلك، ومطالبة العادة أشدّ من مطالبة الطباع»[٨٦] ولمّا أعتذر قال له الخليفة «لا تقطعنا وإن لم نطلبك. فقلت: السمع والطاعة، وأمر لي بألف دينار»[٨٧] وقال ابن خلدون عن النحو «به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة»[٨٨] وقال أبو بكر بن مجاهد في فضل النحو «قال لي ثعلب يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي؟ فانصرفت من عنده فرأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فقال لي: أقرىء أبا العباس منّي السلام. وقل له أنت صاحب العلم المستطيل»[٨٩] قال أبو عبدالله الروذْباري أحمد بن عطاء «أراد أنّ الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل، وأنّ جميع العلوم مفتقرة إليه»[٩٠]

ونحو هذه الأقوال والأشعار والروايات كثير مبثوث في بطون الأسفار، ومبناها جميعاً ومدارها بيان قيمة النحو العظمى والدعوة إلى تعلّمه والكشف عن منزلة أعلام النحاة والحثّ على الاقتداء بهم والاطلاع على آثارهم، فالنحو في حقيقة الأمر أشرف العلوم لأنّ به صلاح الألسنة وسلامة المنطق وسلاسة البيان وأستقامة الأداء، وبه يحسن الناس تلاوة القرآن وعن طريقه يخدمون الدين وبواسطته يرفعون شأنهم، وفصاحة الكلام لا تكون إلّا به وصحة الكتابة لا تتمّ إلّا بعونه، فهو مفتاح العلوم ومعيار الآداب، وبه يسلم كلّ من الكتاب والسنة من عادية اللحن والتحريف ويستبين

سبيل العلوم على تنوّع مقاصدها، وهو الذريعة إلى تحديد المعنى وتقريب التفاهم وإرساء دعائم الحكم الصحيح، وهو في نهاية المطاف المعيار الذي يوزن به الكلام وتحفظ به اللغة خصائصها ومقوماتها وتتقي به الألسن مزالقها، فهو درع اللغة الواقي وقوام الألسنة الحافظ ووسيلة تذوق الفنون والسير فيها على بصيرة.

أمّا أعلام النحاة فإنّ مكانتهم بين علية القوم كانت رفيعة إذ كان منهم المؤدبون الذين يشرفون على تربية أولاد الخلفاء والأمراء والرؤساء كالكسائي والمبرد، ومن لم يستطع من هؤلاء ان يحظى بأحد الاعلام مؤدباً لأولاده كان حريصاً على ان يتّصل به ويستزيره ويخطب ودّه ويجزل عطاءه. كذلك كانت منزلتهم في الحياة العامة، فقد عظّمهم الناس وانزلوهم من انفسهم منزل الإجلال والإكبار وضربوا بهم المثل في سعة العقل وحدّة الفهم والإحاطة بمسائل العلم، فما اقرّوه خلد وبقي وما هجنوه سقط وضاع، وكان علية القوم وعامة الناس على حدّ سواء حرصاً منهم على صحة كلامهم يلجئون إليهم إذا خفي عليهم وجه الصواب فيه. فقد استقدم المهديّ مثلاً الكسائي بسبب الرغبة في معرفة كيفية صياغة الأمر من السواك بالاضافة إلى حرصه على وجود نحويّ كبير إلى جانبه يرجع إليه عند اللزوم[91] وكان اتصال المازني بالواثق بسبب بيت من الشعر ضَلَّ في توجيهه الحاضرون فارسل الخليفة إلى المازني استاذ العربية في عصره فحضر وانقذهم من حيرتهم[92]



● الهوامش ●

(١) السيوطي، المزهر ١: ٢١٠.
(٢) انظر د/ حسن عون، اللغة والنحو ٤٢ ـ ٤٤.
(٣) من الآية ٧١ من سورة الإسراء.
(٤) من الآية ١ من سورة المؤمنون.
(٥) من الآية ٩٧ من سورة آل عمران.
(٦) انظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ١٧٢.

(٧) انظر ابن هشام، شرح شذور الذهب ١٦، ٣٤.
(٨) ابن جني، الخصائص ٣ ١٣.
(٩) انظر شيئاً من هذه الأمثلة في الثعالبي، فقه اللغة ٣٣٨ ـ ٣٣٩.
(١٠) انظر الثعالبي، فقه اللغة ٣٢٨.
(١١) انظر الشنقيطي، الدرر اللوامع ١ ١٤١.
(١٣) انظر ابن فارس، الصاحبي٦ ـ ٩، ١٢ والسيوطي، المزهر ١ ٨ ومحمد الطنطاوي، نشأة النحو ١٣.
(١٢) ابن جني، الخصائص ١ ٢٤.
(١٤) انظر ابن منظور، لسان العرب ١٥: ٢٠٩، وابن النديم، الفهرست ٣٥٦، ٣٥٧
(١٥) الانباري، نزهة الألباء ٥.
(١٦) جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية ١ ٢٢١.
(١٧) جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية ١ ٢٢٢، ٢٢٣.
(١٨) الرافعي، تاريخ اداب العرب ١: ١٠٢، ١٠٣.
(١٩) انظر احمد امين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٢.
(٢٠) انظر د/حسن عون، اللغة والنحو ٢٠٩ ـ ٢٥٠.
(٢١) انظر احمد أمين، ضحى الإسلام ٢: ٢٩٣.
(٢٢) جو تولد فايل، مقدمة الانصاف ٢ ترجمة د/عبدالحليم النجار نقلاً عن د/عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ١٠٤.
(٢٣) انظر دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ٤٠ ـ ٤١.
(٢٤) ابن جني، الخصائص ١: ٣٤.
(٢٥) عبدالقاهر، دلائل الاعجاز ٦٤ ـ ٦٥.
(٣٦) السيوطي، الاقتراح ٦.
(٣٧) الاشموني، منهج السالك إلى الفية أبن مالك ١٥.
(٢٨) الخضري، حاشيته على ابن عقيل ١٠.
(٢٩) ابن خلدون، المقدمة ٥١٥.
(٣٠) انظر الجاحظ، البيان والتبيين ٢ ٣١٩.
(٣١) انظر الأنباري، نزهة الألباء ١٠.
(٣٢) انظر الرافعي، تاريخ أداب العرب ١٠ ٢٨٨
(٣٣) ابن النديم، الفهرست ٥٩.
(٣٤) انظر ابن فارس، الصاحبي ٦ ـ ٩، ١٢، ومحمد الطنطاوي، نشأة النحو ١٣.
(٣٥) الأنباري، نزهة الألباء ١١.
(٣٦) الأنباري، نزهة الألباء ٨.
(٣٧) ابن النديم، الفهرست ٥٩.
(٣٨) انظر الأنباري، نزهة الألباء ١١.
(٣٩) القفطي، إنباه الرواة ١: ٤، ٥، ٦.
(٤٠) ابن النديم، الفهرست ٦١.

(٤١)ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ١٢.

(٤٢)ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٢ ٧٢٩.

(٤٣)انظر طه الراوي، نظرات في اللغة والنحو ٧.

(٤٤)هذا التشكيك ينسحب بالضرورة على الإمام عليّ للسبب نفسه

(٤٥)أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢ ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠.

(٤٦)انظر دائرة المعارف الإسلامية ١ ٤٢٢.

(٤٧)حذا الدكتور شوقي ضيف هذا الحذو فقال «إنّ هناك خطأ شاع وذاع قديماً وحديثاً وهو ما ينسب إلى أبي الأسود وتلاميذه من وضع بعض مبادىء النحو، وهي إنّما بدأت توضع مع الجيل التالي عند أبن أبي اسحاق الحضرمي» د/شوقي ضيف، المدارس النحوية ٥».

(٤٨)نقلا عن د/عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٢ ـ ٥٤ بتصرف.

(٤٩)محمد الطنطاوي، نشأة النحو ٢٢، ٢٣

(٥٠)انظر الانباري، نزهة الألباء ١٨.

(٥١)من اية ٢٤ من سورة سبأ.

(٥٢)انظر د/عبدالرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية ٥٤ ـ ٦٠.

(٥٣)يعدّ هذا المصحف أقدم مصحف مخطوط في العالم وهو موجود بحالته الأولى في دار الكتب المصرية «انظر د/حسن عون، اللغة والنحو ٢٢٦».

(٥٤)يصف جورجي زيدان هذا المصحف بأنه مكتوب بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون، فالنقطة فوق الحرف فتحة وتحته كسرة وبين يديه ضمّة كما وصفها أبو الأسود لمّا أراد التنقيط وأتوه بكاتب فقال له: إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه وإن ضممت فبين يديه وإن كسرت فمن تحته «انظر جورجي زيدان، تاريخ اداب اللغة العربية ١: ٢٢٢».

(٥٥)انظر الرافعي، تاريخ أداب العرب ١٠ ٢٨٧، وطه الراوي، نظرات في اللغة والنحو ٧.

(٥٦)من اية ٢ من سورة التوبة.

(٥٧)ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ١٢.

(٥٨)الزُّبيدي، طبقات النحويين واللغويين ١١، ١٢.

(٥٩)الأنباري، نزهة الألباء ٤ ـ ٥.

(٦٠)أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين ٩٨ ـ ١٠١.

(٦١)انظر القفطي، إنباه الرواه ١٠ ١٧.

(٦٢)ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢ ٢١٢.

(٦٣)من اية ٢٤ من سورة التوبة.

(٦٤)انظر السيرافي، أخبار النحويين البصريين ٢٢.

(٦٥)انظر الأنباري، نزهة الألباء ١٨.

(٦٦)انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ٣٢، والأنباري، نزهة الألباء ١٩، ٢٠.

(٦٧)انظر احمد أمين، ضحى الإسلام ٢ ٢٩٠، ٢٩١.

(٦٨)انظر مثلاً «هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب» سيبويه، الكتاب ١٠ ١٦٧».

(٦٩)المبرد، المقتضب ٤. ٨، وانظر في ذلك سيبويه، الكتاب ٢ ٩٥.
(٧٠)المبرد، المقتضب ٤ ٨٠.
(٧١)انظر المبرد، المقتضب ١ ١٠٩ ـ ١١٠.
(٧٢)انظر المبرد، المقتضب ٣ ٢٩٧، وانظر سيبويه، الكتاب ١ ٤٠١.
(٧٣)المبرد، المقتضب ٣ ١٣٣.
(٧٤)الطُّفْلَه الجارية الناعمة «انظر الفيروزا بادي، القاموس المحيط ٤: ٧».
(٧٥)انظر الانباري، نزهة الألباء ١٢٨.
(٧٦)أو عمرو الكلبي «انظر ياقوت، معجم الأدباء ١٢ ١٠٣ ـ ١٠٤».
(٧٧)أو خرَّصوا، أي قالوا كذباً «انظر ياقوت، معجم الأدباء ١٢. ١٠٤».
(٧٨)كبلاد فارس.
(٧٩)كبلاد الروم ونحوها. أي لست أعجمياً
(٨٠)انظر ابن جني، الخصائص ١: ٢٢٩ ـ ٢٤٠.
(٨١)انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٢٠٨٠٢.
(٨٣)انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٣٠٨٠٣ ـ ٣٠٩.
(٨٢) انظر الزُّبيدي، طبقات النحويين واللغويين ١٣.
(٨٤)انظر ياقوت، معجم الأدباء ١٢ ١٩٢.
(٨٥)انظر السيوطي، بغية الوعاة ٥٥٨٠١.
(٨٦)انظر ياقوت، معجم الأدباء ٧ ١١٦.
(٨٧)انظر ياقوت، معجم الأدباء ٧. ١١٦.
(٨٨)ابن خلدون، المقدمة ٥١٤.
(٨٩)انظر السيوطي، بغية الوعاة ١: ٣٩٧.
(٩٠)انظر القفطي، إنباه الرواة ١: ١٤٤.
(٩١)انظر القفطي، إنباه الرواة ٣: ٢٥٩.
(٩٣)انظر ياقوت، معجم الأدباء ٧. ١١١ ـ ١١٢.

المصادر والمراجع

- أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تحقيق فريتس كرنكو، بيروت سنة ١٩٣٦م.
- الاقتراح في أصول النحو، السيوطي، ط٢ حيدر أباد سنة ١٣٥٩هـ.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تحقيق محمد أبي الفضل، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ط٢ مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٨م.

- بغيـة الوعـاة في طبقات اللغـويين والنحـاة، السيوطي، تحقيق محمـد أبي الفضل، عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢ بمصر سنة ١٩٦٠م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مصر سنة ١٩١١م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، دار الهلال بالقاهرة سنة ١٩١٤م.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة عبدالهادي أبي ريده، ط٤ بالقاهرة سنة ١٩٥٧م.
- حاشية الخضري على ابن عقيل، مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٤٠م.
- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٢م.
- دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب بمصر.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، الشنقيطي، مطبعة كردستـان بالقاهرة سنة ١٣٢٨هـ.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، ط٢ بمطبعـة المنار بمصر سنة ١٣٣١هـ.
- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محي الـدين عبدالحميـد ط ١٠ بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٦٥م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمـد شاكـر، دار المعارف بمصر سنـة ١٩٦٦م.
- الصـاحبي، ابن فـارس، تحقيق السيـد صقـر، عيسى البـابي الحلبي بمصر سنـة ١٩٧٧م.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط٧ مكتبة النهضة المصرية.
- طبقـات فحول الشعـراء، محمد بن سـلام الجمحي، تحقيق محمود محمـد شاكـر، مطبعة المدني بمصر بدون تاريخ.
- طبقات النحويين واللغويين، الزبيـدي، تحقيق محمد أبي الفضـل، الخانجي بمصر سنة ١٩٥٤م.

- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق د/مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٨٢م.
- فقه اللغة وسرّ العربية، الثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٧٢م.
- الفهرست، ابن النديم، المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزا بادي، ط٢ مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٢م.
- الكتاب، سيبويه، بولاق سنة١٣١٧هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ببيروت بدون تاريخ.
- اللغة والنحو، دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، د / حسن عون، مطبعة رويال بالاسكندرية سنة ١٩٥٢م.
- المدارس النحوية، د / شوقي ضيف، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م.
- مدرسة البصرة النحوية، د / عبدالرحمن السيد، العراق سنة ١٩٦٨م.
- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبي الفضل، نهضة مصر سنة ١٩٥٥م.
- المزهر في علوم اللغة وانواعها، السيوطي، تحقيق جاد المولى وزميليه، عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ.
- معجم الأدباء، ياقوت، تحقيق مرجليوت، دار المأمون بمصر سنة ١٩٢٨م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، مؤسسة جمال للنشر ببيروت بدون تاريخ.
- المقتضب، المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، القاهرة سنة ١٣٨٦هـ.
- المقدمة، ابن خلدون، دار الشعب بالقاهرة بدون تاريخ.
- منهج السالك إلى الفية ابن مالك، الأشموني، عيسى البابي الحلي بمصر بدون تاريخ.
- نزهة الالباء في طبقات الأدباء، أبو البركات الانباري، تحقيق محمد أبي الفضل، دار نهضة مصر سنة ١٩٦٧م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، ط٢ سنة ١٩٦٩م بمصر.
- نظرات في اللغة والنحو، طه الراوي، المكتبة الأهلية ببيروت سنة ١٩٦٢م.